عوامل التحول في قصور الواحات في الجنوب المغربي

Factors of transformation in the oases palaces (ksoor) in the southern Morocco

أ. عبد الزهر بامحمي، باحث في سوسيولوجيا التحولات الاجتماعية، جامعة محمد الخامس الرباط ـ المغرب

ملخص: يعالج هذه المقال موضوع التحولات الاجتماعية في قصور الواحات وبشكل خاص قصر تمزموط، فالسمة الأساسية التي تميز الحياة الاجتماعية في القصر بشكل عام، هو: تداخل نظامين أساسيين، أحدهما تقليدي خاضع لنسق للقبيلة، وأخر تحديثي يتمثل في الجمعيات والتعاونيات كمؤسسات عصرية على مستوى الشكل على الأقل. وقد شكل هذه التداخل: الإطار العام للتحليل السوسيو – أنثروبولوجي لدراستنا، هذا التداخل الذي تشكل في سياقات متعددة تاريخية، وسياسية، وكذلك اجتماعية، لها دور كبير في فهم العديد من التحولات الاجتماعية التي عرفتها قبيلة قصر تمزموط والعوامل المساهمة فيها.

الكلمات المفتاحية: التحولات الاجتماعية، القصر، المؤسسات التقليدية، التنظيم الاجتماعي.

Abstract: This article addresses the social changes in the palaces of the oases in particular the palace of Timazmut. The basic theme that characterizes the social life in the palace in general is the flap of two basic systems, one of which is a traditional subject of the tribe. The least was the general framework of the socio-anthropological analysis of our study. This flap formed in various historical, political, and social contexts, has a great role in understanding many of the social transformations that the Kasr-Timazmut tribe has known and the factors contributing to it.

Keywords:Social transformation, palace, traditional institution, social organization.

مقدمة:

عرفت قصور الواحات العديد من التحولات الاجتماعية، هذه الأخيرة التي غيرت من نمط عيش السكان وكذلك طرق تفكيرهم. غير أن فهم هذه التحولات يستوجب منا سبر أغوار العوامل التي ساهمت في هذه التغيرات سيما وأنها لم تعرف قطيعة بين الماضي التقليدي والحاضر الحداثي، وتوضح أوسيت فالنسي من خلال دراستها للمجتمعات المغاربية بشكل عام على أن هذه المجتمعات لم تعرف تطورا في قوى الإنتاج وكذلك على مستوى التقنية إلا مع الفترة الكولونيالية مما يؤكد، تبعية التطور الذي عرفته هذه المجتمعات للدول المستعمرة (Lucette Valensi 1969,p.38)، سنحاول من خلال هذا الإطار، أن نسوق بعض عوامل ومحددات التغير الاجتماعي الذي عرفته واحة تنزولين وعلى وجه الخصوص قبيلة قصر تمزموط.

إشكالية البحث:

التحولات الاجتماعية التي عرفتها قبيلة قصر تمزموط [1] لا تنفصل بشكل من الأشكال عن التحولات الاجتماعية التي عرفها العالم القروي. حيث لعبت العديد من العوامل التي سنأتي لتحليلها بالتفصيل في محاور هذا المقال، دورا كبيرا في تحويل هذا المجال الواحي من مجتمع تقليدي يعتمد على الوسائل التقليدية في كل مناحي الحياة الاجتماعية، إلى مجتمع واحي يختلط فيه التقليدي بالعصري، مجتمع مزيج لم يقطع بعد مع الماضي، لقد أشارت دراسة أحمد البوزيدي من خلال كتابه " درعة بين التنظيم القبلي والحضور المخزني، إلى أهم الخصائص المميزة للواحات في درعة، وأبرز بشكل خاص خصائص واحة تنزولين التي ينتمي إليها مجال دراستنا، والدور الذي لعبته العوامل التاريخية المرتبط بالهجرة التي عرفتها واحة تنزولين في تشكل الاثنيات الاجتماعية المشكلة للقصور في واحة تنزولين.

نهدف من خلال هذه المقال، الوقوف عند مجال قصر تمزموط واستقراء خصوصيات هدا المجال، والتحولات الاجتماعية التي مسته وتأثير هذه التحولات على البنيات الاجتماعية والثقافية، وتندرج إشكاليتنا حول موضوع العوامل المساهمة في التحولات الاجتماعية في واحة تنزولين، نموذج قبيلة قصر تمزموط: في استقراء العوامل المساهمة في التحولات الاجتماعية في القصور ودورها في تغيير نمط عيش وتفكير سكان هذه الأخيرة، وإبراز دور هذه التحولات في التنمية المحلية.

ويمكن أن تتفرع عن هذه الإشكالية العديد من التساؤلات من قبيل:

- ما هي العوامل المساهمة في التحولات التي عرفتها قبيلة قصر تمزموط؟
- ما هي أهم الأنشطة الاجتماعية التي يمارسها السكان في هذه القبيلة ودورها في التحولات الاجتماعية؟
- كيف تنظر كل من الجمعيات التقليدية والتنظيمات الحديثة إلى التحولات الاجتماعية؟

[1] تعتبر قبيلة قصر تمزموط من بين قبائل قصور واحة تنزولين التابعة إداريا لجماعة تمزموط، و لعمالة زاكورة، وتضمن مجموعة من الفخذات (أيت كاغو- أيت تشواريت- أيت حمو حدوا- أيت ناصر- أيت أوعلي بالنسبة لقصر تمزموط، وأيت فارس- أيت أعدي- أيت سيدي مو- أيت صدوك - أيت المحجوب بالنسبة لقصر الحد). وإذا كانت قصر "الحد" تستوطن ربوة منيعة على مجرى الوادي (درعه)، فإن قبيلة قصر تمزموط تستوطن منحدر" تلات نخو"(الوحش) إلى "تلات نطمطوط"(المرأة) أعلى مجال دوار الحد مما جعلها عرضة لخطر تدمير فيضان وادي درعه كما حدث سنة1211هـ/1778م1، أو لمياه السيول كما حدث سنة 2009، وتحد قبيلة قصر تمزموط شمالا قصور"واوزكور" و"إشحيحن" و"أيت إكن"، وجنوبا قصر "أيت عيسى"(المعروف اليوم بتاكرسيفت).

فرضيات البحث:

لا يستقيم الموضوع السوسيولوجي إلا بفرضيات أساسية من خلالها يبني الباحث تصورات عامة أو مفاهيم الانطلاق، لقد قمنا ببناء هذه الفرضيات من خلال البحث الميداني الأولي والجدير بالذكر على أن هذه الفرضيات، قد عرفت العديد من التغيرات طيلة البحث الميداني تبعا لمنطق الإشباع la saturation حيث خلصنا إلى هذه الفرضيات التالية :

- ربما، أن العوامل المساهمة في التحولات الاجتماعية التي عرفتها قبيلة قصر تمزموط متعددة ومتشابكة فيما بينها.
- ربما، أن ممارسة السكان المحليين للقصر للأنشطة الاجتماعية، ما زال يتداخل فيه التقليدي بالعصري.
- ربما أن العلاقات الاجتماعية التقليدية مازالت تتحكم في سير تنظيمات الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

1.تقنيات البحث المعتمدة:

إن طبيعة موضوعنا، تستوجب نهجنا لتقنيات البحث الكيفي، ويأتي هدا الاختيار ليعزز المقاربة التي تبنيناها من أجل بناء المفاهيم من طرف الفاعلين أنفسهم ومقارنة هذه المفاهيم مع النظريات السوسيولوجية و الأنثروبولوجية التي سبق وأن حددت هده المفاهيم في دراسات سابقة. ولن يتحقق هذا إلا إذا استدرجنا العديد من التقنيات الكيفية الفعالة التي ستمكننا من جمع أكبر عدد من المعطيات الميدانية الوجيهة لموضوع الأطروحة، في هدا السياق تم اختيارنا للتقنيات التالية:

1.1 المقابلة: وتعتبر من التقنيات الكيفية المعروفة في العلوم الاجتماعية، واستعمالنا لهده التقنية راجع بالأساس إلى طبيعة المعطيات التي نتوخى استقائها من المبحوثين، ومن بينها المعطيات التاريخية حول المنطقة، إذ تعتبر واحة تنزولين بشكل عام وقبيلة قصر تمزموط بشكل خاص، فقيرة من حيث الوثائق التاريخية والسجلات وكذلك الأرشيفات ما عدى بعض المخطوطات والوثائق الموجودة في زاوية تمكروت، لذلك لجأنا إلى المقابلة المفتوحة مع الكثير من المبحوثين الذين تم اختيارهم بإمعان وبناء على " العينة المنتقاة "(Savarese Eric,2006, p11)، ونخص بالذكر بعض شيوخ هده القصور الذين يغادرون واحدا تلو الأخر دون أن تكتب شهاداتهم التاريخية حول " قصر تمزموط ".

لقد التقينا بالبعض من شيوخ هذه المنطقة الذين لازالوا على قيد الحياة واستكشفنا منهم بعض المعطيات التاريخية المرتبطة بالتنظيم التقليدي في المرحلة التاريخية التي عاشوا فيها. كما مكنتنا المقابلة المفتوحة كذلك من الانفتاح على مجالات متعددة من خلال تفاعلنا مع المبحوثين ومشاركتهم تجاربهم. وفي هذا الإطار قمنا بحوالي ثمانون (80) مقابلة موزعة بين مختلف الفئات العمرية وكذلك الجنس حيث قمنا بـ 30 مقابلة مع النساء القرويات وذلك بين الفترة 2015-2016.

2.1 المقابلة الجماعية (المجموعة البؤرية) وهي تقنية البحث الكيفي التي ستسمح لنا في معرفة مجموعة من الجوانب حول الموضوع المدروس: لقد اعتمدنا كذلك على المقابلة الجماعية، لأنها أساسية لتسهيل التمحيص المعرفي لبعض المعطيات وعلى وجه الخصوص التاريخية منها، ثم إن التفاعل بين المبحوثين فيما بينهم وفرت لنا بنك من المعلومات، خاصة عندما يتعلق الأمر بالسجال القائم بين الماضي والحاضر من جهة ومن جهة ثانية بين التقليدي والعصري، على اعتبار أن هده الثنائية بين هده المفاهيم محور مقالنا هو مفتاح أساسي لفهم الخيط الناظم بين التنظيمين التقليدي والحديث على ضوء ما يقر به المبحوثين أنفسهم، وبناء على التحليل الآني لهده لمعطيات ومقارنتها، بناء على صيرورة: جمع المعطيات – تحليلها – تمحيصها - بناء

المفاهيم النظرية، وفي هذا الإطار قمنا بـ 40 مقابلة جماعية ضمت العديد من قبائل القصر المجاورة لقبيلة قصر تمزموط، كقصر أفرا وتمنوكالت حيث يمكننا مقارنة بعض التحولات الاجتماعية في هذه القصور.

2.الأرض والتغير الاجتماعي:

يعتبر الأرض من العوامل الأساسية في العملية الاقتصادية في واحات درعة بشكل عام وواحة قصر تمزموط بشكل خاص، إذ لا يمكن تصور الواحات دون أراضي صالحة للزراعة يتجنبها نهر يعتبر منبعا لمد هذه الأرض بالحياة والاستمرار، بالمقابل يعتبر معظم الذين لا يملكون الأرض، دخلاء على هذه الواحة جاءت بهم "الأقدار" حسب تعبير السكان المحليون إلى هذا المكان. الجدير بالذكر أن واحات تنزولين عرفت خلال القرن التاسع عشر العديد من الهجرات والغزوات سواء من طرف الباشا " لكلاوي " الذي احتل درعة خلال سنوات 1925، 1930 (Georges Spillmann, 1936,p 106)، ثم كذلك من طرف قبائل أي عطا وقبائل أي سدرات، الذين استوطن الكثير منهم في واحة تنزولين، هذا بالإضافة إلى توافد الكثير من الهجرات من مختلف الجهات، على سبيل المثال لا الحصر جهة سوس ثم طاطا.

إن استمرار السكان المهاجرين[2] في قصر تمزموط واحتكاكهم بالمجال أدى بالعديد منهم إلى التفكير في امتلاك الأراضي وزرعها كنوع من البحث عن الاعتراف والتواجد الفعلي داخل القصر، خاصة وأن الكثير منهم كانوا يتعاطون التجارة وأعمال البناء التي تدر عليهم مبالغ مهمة تمكنهم من بسط نفوذهم داخل هذه القصور، لكن عملية شراء الأراضي داخل الواحة بشكل عام وخاصة في قبيلة قصر تمزموط التي قمنا بدراستها، يخضع لقواعد وشروط جد معقدة تحول دون تحقيق ذلك، ففي قبيلة قصر تمزموط مثلا من الصعب بمكان على الغريب على هذا القصر الصغير أن يمتلك الأرض، فالعرف السائد هو أن الأرض هوية القبيلة وبالأحرى هوية الفرد داخل القبيلة فالأرض تشكل عاملا أساسيا للمكانة التي يحصل عليها الفرد داخل القبيلة. بل الأبعد من ذلك كان يمنع على الأفراد من نفس العائلة أن يبيعوا الأرض إلى الأفراد الذين لا ينتمون إلى العائلة حتى وإن كانوا من نفس القبيلة، وكان ذلك سببا للعديد من الصراعات بين الأبناء والأعمام حول هذه المسألة، حتى نظرة القبيلة إلى من يبيع أرضه غالبا ما تكون نظرة دونية تنقص من شأن صاحبها، إذن، إذا كان بيع الأرض أو تفويتها من طرف أفراد من العائلة إلى أخر خارج العائلة يعتبر أمرا منبوذا، فكيف يمكن تصور أن يبيع فرد من القبيلة أرضه إلى أخر من خارج القبيلة؟ إنها بالفعل من الأمور التي يستحيل تقبلها في مثل هذه القصور التي تعتبر الأرض جزء لا يتجزأ من حياتها وكينونتها.

إن التغيرات الاجتماعية الذي عرفه قصر تمزموط، والهجرات التي عرفها في فترات تاريخية معينة خاصة في اتجاه المدن الكبرى(مراكش ، الدار البيضاء، الرباط ، أكادير) (Aït hamza Mohamed et B. El Faskaoui, p63) أو نحو الخارج، أدى بالعديد من السكان إلى هجران هذه القصور وبالتالي يهجرون معها الأرض التي كانت جزء من هويتهم، هذه المسألة تعتبر نقطة تحول داخل القبيلة بشكل عام، لاسيما العلاقة بالأرض، حيث أصبحت عملية بيع وتفويت الأراضي من داخل القبيلة أمرا مسموحا به داخل القبيلة، في حين ضل بيع الأرض للذين لا ينتمون للقبيلة مستمرا، إذ على الرغم من كل هذه التحولات لا يجوز لفرد داخل القبيلة أن يبيع الأرض لفرد خارج عن القبيلة مهما كلفه الأمر، انه عرف مازال الناس يحتفظون به إلى اليوم،

[2] يجب الإشارة هنا أن واحات تنزولين (التي ينتمي اليها مجال دراستنا) على أنها عرفت هجرات عديدة سواء من قبائل ايت عطا، حيث توسع كنفدرالية أيت عطا في واحات تنزولين، أو من طرف قبائل ايت سدرات الذين جاؤوا هم كذلك لإيجاد موطئ قدم لهم في هذه القصور.

يقول أحد المستجوبين: - محمد 40 سنة[3]- " بيع الأرض داخل القبيلة أمر مسموح به لأن معظم الذين يبيعون الأرض لا يتواجدون داخل القبيلة وبالتالي فهم يسكنون في المدن وفي حاجة إلى مال لشراء المنزل هناك، لذلك كان من البديهي أن تعطى لهم الحرية في بيع الأرض لكن شريطة أن لا يخرج ذلك عن القبيلة وهنا خط أحمر ".[4]

لقد كان للمرحلة الاستعمارية كذلك أثر كبير على المجتمع الواحي بشكل عام، خاصة وأن السمات الغالبة عليه قبل الحماية، العزلة عن العالم الخارجي والاعتزاز بالقيم العليا التي يحتل فيها الإسلام المركز الأساسي، لكن التغلغل الفرنسي أحدث رجة وصدمة قوية في بنيات المجتمع الواحي الذي لم يتعود على هذا الوضع الجديد ولم يستسغه بسهولة، والمقاومات من هنا وهناك دليل على ذلك، لن نخوض هنا في الحدث الاستعماري وحيثياته، لكن ما يهمنا في هذا الإطار هو الصدمة التي أحدثها هذا الحدث على مسار التحولات التي واكبت هذا الحدث الذي رسم ملامح المغرب الجديد، إنها صدمة الاستعمار كما يسميها الأستاذ عبد الله إبراهيم التي ساهمت إلى حد كبير في خلق فجوة بين المجتمعات المستعمرة (بكسر العين) و المجتمعات المستعمرة (بفتح العين) وفي هذا الصدد يقول عبد الله إبراهيم " الاستعمار ليس إلا ظاهرة تاريخية فقط، لحدث عالمي ذي بعد ثوري عملاق، في مراحل التطور البشري العام، وقد كان من أثره أن انقسمت شعوب العالم كله، بين شعوب متقدمة تكنولوجيا وحضاريا، وشعوب أخرى متخلفة، الأولى متحصنة بتكنولوجيتها ورفاهيتها وقوتها العسكرية، والثانية في مجموعها متأزمة وضعيفة وتابعة، فلم يكن من المقدور، والحالة هذه أن يتجاهل الطرفان بعضهما بعضا في العلاقات بينهما، التي لا يمكن أن تكون في أساسها إلا علاقة غير متكافئة، وبالتالي علاقات نزاع ".

إذن، لا يمكن الحديث عن صيرورة التغير الاجتماعي في مجال دراستنا بمعزل عن السياق الاستعماري الذي يعتبر محطة أساسية في تاريخ المنطقة، وهذا الأمر يشي بالدور البارز الذي لعبه الاستعمار في مواجهة بنيات المجتمع الواحي، هذا الأخير الذي لم يكن ليخضع بسهولة للمنطق الجديد الذي يختلف معه اختلافا جذريا، لذلك، ليس من الغريب أن تكلف الإدارة الاستعمارية العديد من الباحثين من مختلف التخصصات في السوسيولوجيا و الأنثروبولوجيا والتاريخ وكذلك الجغرافيا لمعرفة هذا المجتمع وتحليل البنيات الاجتماعية المكونة له، تحليلا علميا قد يسهل فيما بعد عملية تفكيكه والسيطرة عليه كما هو الحال بالنسبة لجورج سبلمان الذي لعب دورا أساسيا في احتلال واحة تنزولي(أحمد البوزيدي، دس، ص536)، وهذا ما تأتى بالفعل حيث تمت دراسة بنيات المجتمع القبلي من مختلف الجوانب من طرف الباحثين الذين كانوا في الحقيقة ينتمون إلى الإدارة الكولونيالية سواء كانوا من الجيش، أو من الباحثين الجامعيين الذي حضورا لأطروحاتهم انطلاقا من دراسة المجتمع القروي المغربي.

---

[3] محمد فلاح يسكن في قصر تمزموط عاش بين المرحلتين، المرحلة التي كان فيها بيع الأرض أمرا غير مسموحا به والمرحلة الأنية، حيث حكى لنا مدا التغير الذي عرفه تمثل الأرض بالنسبة لسكان القصر.

[4] فيما يخص بيع الأرض في قبيلة " تمزموط "، يعتبر الأمر مقبولا من داخل القبيلة حتى وإن كان غير محبد لدى الكثيرين ، على اعتبار أن من يبيع أرضه ينظر إليه نظرة دونية، لكن خارج القبيلة غير ممكن. ويجب الإشارة إلى أن هذه المسألة، أي بيع الأرض إلى أشخاص من خارج القبيلة، هي خاصية تختلف من منطقة لأخرى على طول خط درعة، حيث في بعض القبائل المتواجدة في جماعة تنزولين على سبيل المثال بيع الأرض إلى البرانى أمر مقبول، إذن هذا التنوع في الرؤى راجع إلى التركيبة الاجتماعية والثقافية لهذه القبائل، إذ من خلال دراستنا، خلصنا إلى أن القبائل التي ترتبط بالأرض وتمنع بيعه لغير المنتمين لنفس االقبيلة، هي بالأساس القبائل التي تتشكل من "الاخصان " أو العظام الذين تربط بينهم علاقات النسب والأصل المشترك، حقيقيا كان أو وهميا، بالمقابل القبائل التي تربط بينها علاقات الأرض المشتركة والتقاليد المشتركة باعتبارها تشكلت تاريخيا بسبب الهجرات وتموضعها في أرض مشتركة، لا تجد حرجا في بيع الأرض للبرانى.

3. الأنشطة التجارية وحدود التغيير

من الأنشطة المهمة الموجودة في قصر تمزموط، الأنشطة التجارية المتعددة، لم تكن التجارة في يوم من الأيام مهنة محبذة لدى الجميع، بل كان الكثير من الناس يلجئون إلى الأنشطة الفلاحية والصناعة التقليدية أو الهجرة إلى المدن الكبرى من أجل العمل لضمان القوت اليومي لجميع أفراد العائلة، يكون الابن الأكبر والحالة هذه ضحية، حيث عليه أن يوفر لكل أفراد عائلته مستلزمات الحياة دون أن يهتم بشؤونه الخاصة، حيث يكون خاضعا لمنطق العائلة. إن تراجع المحصول الفلاحي بسبب التقسيم المتوالي للأرض عن طريق الإرث، والجفاف الذي تعيشه هده الواحة وعوامل التصحر التي اجتاحت العديد من الواحات(الطايع مبارك، 2007، ص200)، أدى بالعديد من الناس إلى اللجوء إلى مجالات أخرى من أجل العمل وتوفير مستلزمات الحياة الضرورية. لذلك لجأ العديد منهم إلى التجارة كنشاط مدر للدخل، وترتكز هذه الأنشطة بالأساس في بيع الخضر، والفواكه في الأسواق الأسبوعية. أو فتح محلات تجارية (بيع المواد الغذائية). يقول " سي العربي [5]55 سنة " أحد المستجوبين في هذا السياق : "إن لجوئنا إلى التجارة هو بسبب تراجع مردودية الفلاحة، في السابق كنا نعتمد على الفلاحة وتربية الماشية، لكن هذه الأمور كلها في تراجع مستمر، الفلاحة لم تعد كافية لتوفير القوت اليومي بسبب الجفاف، وهو ما ينعكس سلبا على تربية الماشية لذلك فالتجارة عمل أوصى به الرسول و كل من يعمل فيها لابد من أن يربح ".

التجارة بناء على ما سبق عامل أساسي في التغير الاجتماعي حيث تنتقل العلاقات الاجتماعية في الواحات وداخل القصور، من علاقات القرابة والعائلة والأخوية والتضامن بين أفراد القصر إلى علاقات رأسمالية يغلب عليها الجانب المادي والربحي، بل في أحايين أخرى تتجاوز هذه العلاقات الأفراد أنفسهم حيث يصبح المال متحكما في هذه العلاقات. فالأسواق الأسبوعية التي يلتقي فيها التجار بزبائنهم معروفين لديهم أو مجهولين، مجال هام للعلاقات الاجتماعية، لكن الأدوار التي كان يلعبها السوق لم تعد بتلك القوة التي كانت عليه في فترة الاستقلال حيث كان السوق يؤدي أدوارا سياسية واجتماعية(Diane Skilly Ponasik1967,p 120)).

وفي سياق أخر، يعتبر التوازن الاجتماعي بين المجموعات المكونة لقصر تمزموط ونخص بالذكر هنا كل من فئة الضراوة وايمازغين ثم الشرفاء، عامل أساسي لفهم التحولات على مستوى الأدوار التي تقوم بها كل مجموعة على حدى، فمفهوم التوازن الاجتماعي (Michel Forse, 2000, p278) في هذا الإطار يعد مفهوما مركزيا لفهم الانتقال الذي عرفه قصر تمزموط حيث الانتقال من سلطة الأقلية (امازيغن) إلى سلطة الأغلبية (ضراوة)، ففي فترة تاريخية معينة وبالخصوص فترة حكم لكلاوي لواحة تنزولين، كانت السلطة في يد القائد علي أو لفضايل الذي ينتمي في الأصل لقبائل أيت سدرات فخدة ايت محلي، حيث بسط نفوذه على قصر تمزموط وحسب ما يحكيه العديد من المبوحثين أنه كان من اشد القياد على هذه المنطقة والذي تميز بقسوته في حكم قصر تمزموط وأحفاده اليوم مازالوا في قصر تمزموط. اختلال التوازن الذي حصل في المنطقة وتراجع سلطة القياد أمام بسط المخزن لنفوذه على واحة تنزولين، ساهم بشكل كبير في إعادة التوازن بين امازيغن (الأقلية) و (دراوة الأغلبية)[6] بل استرجاع سلطتها من خلال استرجاع الأراضي التي استولى عليها القائد علي اولفضايل في فترات تاريخية معينة.

---

[5] العربي تاجر محلي، اشتغل مند سنوات في العمل التجاري بعد أن فقد الأمل في الأرض التي لم تعد تحقق له اكتفاءه الذاتي.

[6] ضراوة (دراوة): يطلق عليهم كذلك اسم "الحراطين" يشكلون غالبية سكان قصر تمزموط، يمارسون النشاط الزراعي، يقال أنهم ينحدرون من أصل سوداني، لكن لا توجد أي وثيقة تاريخية تبثث ذلك، ليبقى هذا الاحتمال

4.الصناعة التقليدية في القصر

تعتبر الصناعة التقليدية في واحة تنزولين بشكل عام وقصر تمزموط بشكل خاص موردا أساسيا للعديد من سكان وقصور هذه الواحة(الهادي الهروي، 2008-2009، ص92) وعلى وجه الخصوص قصر تمزموط ، فهو نشاط تقوم به فئات خاصة لها من " اليد ما صنع " كما يقول سكان الواحة، ويجب الإشارة إلى أن الأنشطة الصناعة التقليدية على سبيل المثال، كانت حكرا على بعض الفئات وغالبا ما كانت هذه الفئات تصنف في أدنى الرتب الاجتماعية. حيث ترتكز هذه الصناعات التقليدية لدى اليهود أو الوافدين الغرباء كما هول الحال بالنسبة لـ " الأمزيل " الذين يمتهنون الحدادة في الأسواق(Ali Amahan, 1998, p72) أو اليهود الذين يمتهنون الحرف المرتبطة بالمعادن والصياغة.

انفراد هذه الفئات بهذه الأنشطة خلال فترات تاريخية معينة، جعلها تتسلق المراتب على مستوى التراتبية الاجتماعية بفضل عائدات هذه الأنشطة التي بدت واضحة لدى الكثير من هذه الفئات، حيث بادرت هذه الأخيرة إلى شراء الأراضي، وبناء المنازل وخلق أنشطة تجارية في هذه القصور إلى غير ذلك من الأنشطة التي تنم عن مدى تسلق هذه الفئات للسلم الاجتماعي وتجاوزها بذلك على الأقل من الناحية الاجتماعية تلك النظرة الدونية التي كانت ملتصقة بهم في السابق. لكن مع ذلك مازال الكثير من الفئات التي لم تتقبل هذا التحول، حي تنظر إلى هؤلاء الحرفيين باعتبارهم أقل مستوى منهم، من الناحية الثقافية، ويتضح هذا من خلال بعض التسميات المحلية التي ينعت بها هؤلاء، (الكوفري، لخدمة نتماة(العمل الشاق)) يقول أحد المستجوبين، رشيد 31 سنة : "هذه الأعمال لا يقوم بها سوى الذي لم يجد ما يعمل، أنه عمل مجحف وشاق، أنا شخصيا لن أقبل لنفسي أو لأحد من أبنائي أن يشتغل في هذه الحرف"، يبدو أن الجانب الثقافي المرتبط بالتاريخ الجماعي لهذه المجموعات ما زال حاضرا لدى الكثير من الناس الذين لا يروقهم الاعتراف بمكانة الوافد المستقر الذي أصبح اليوم جزء لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي لقصر تمزموط، بل الأبعد من ذلك أن بعض الفئات من الذين يعتبرون أنفسهم من السكان الأصليين أصبحوا اليوم يتجهون لامتهان بعض الحرف التقليدية. من الواضح إذن أن صيرورة التغير الاجتماعي المرتبطة بالأساس ببنية المجتمع الواحي، ذهبت إلى حد كبير في خلخلة الموازين على مستوى التراتبية الاجتماعية من جهة، ثم على مستوى الأنشطة الاقتصادية التضامنية التي تميز هذه الفئات، حيث تشتغل بمنطق" الحنطة" لضمان مصالحها واستمراريتها كنشاط أساسي داخل النسيج الواحي.

5. تربية الماشية وإمكانية التغيير

من الأنشطة الأساسية التي يعتمد عليها الواحيون في قصر تمزموط إلى جانب الفلاحة، تربية الماشية،(Mohamed Elmansour, p 61) هذه الأخيرة عرفت بدورها العديد من التحولات، فبعدما كان الناس يعتمدون على تربية الماشية المحلية والاعتماد على الكفاف، أصبحوا اليوم وبفضل المساعدات التي تقدمها وزارة الفلاحة حسب ما عبر عنه المستجوبين، يعتمدون على أنواع جديدة من تربية الماشية، على سبيل المثال" غنم الذمام"، أما فيما يخص التسويق فهو كذلك من الأمور التي عرفت تحولا بين الماضي والحاضر فبعدما كانت تعتمد على الكفاف أصبحت

ضعيفا أمام العديد من الروايات والقراءات. بل اعتبر الكثير من ممن استجوبناهم من خلال البحث الميداني هذه الرواية كاديولوجية يريد بها الوافدين إلى واحات درعة فى مرحلة تاريخية معينة ، طمس هوية هذه الفئة التى يرجح أن تكون أقدم جماعة بشرية استقرت بدرعة، وإلا كيف يمكن إرجاع هذه الفئة إلى أصل سوداني أو جنوب الصحراء بصفة عامة والاعتماد على اللون باعتبار أن كل الفئات ذات البشرة السوداء، فان أصلها من إفريقيا جنوب الصحراء.

اليوم إلى حد ما موجهة نحو التسويق، إن الفعل الاجتماعي الذي يبديه الأفراد نابع بالأساس إلى المنافع والبواعث التي يبتغيها كل فرد معين، يقول أحمد الخلوقي [7] 56 سنة " النتيجة التي حققتها التجربة الأولى حيث قدمت أغنام الذمام للمستفيدين جعلت الجميع ينخرط في هذه العملية، لأن ذلك سيدر عليهم ربحا وسيضمن لهم موردا جديدا، لقد كان لدينا تخوف في البداية من ركب غمار التجربة، لكن عندما بدأ الجميع يلاحظ النتائج تبين بان ذلك مفيد ومن الضروري الاستفادة من ذلك " ومن وجهة نظر ثانية، دخول عمليات جديدة فيما يخص التطبيب البيطري الذي كان في السابق في معظمه تقليديا، لا يرقى إلى المستوى المطلوب، حيث أن الكثير من الناس يضيعون في ماشيتهم بسبب انعدم التطبيب البيطري، لكن اليوم بفضل دخول العمليات البيطرية من طرف وزارة الفلاحة أو من بعض المنظمات غير الحكومية، كل هذا ساهم إلى حد كبير في تغيير النمط التقليدي السائد، ومكن الكثير من الناس من الاستفادة من هذه العملية.

إن ما يلاحظ انطلاقا من هذه العناصر الذي عبر عنها جل المبحوثين، هو مدى فاعلية المجتمع التقليدي في إحداث التغيير والسير نحو التحديث، الملاحظة الأولى التي تفرض نفسها بقوة هي حضور المؤسسات المحلية بما فيها الجمعيات غير الحكومية سواء منها الوطنية أو الدولية، وكذلك الجماعات المحلية ومند وبيات الفلاحة، ودورها الأساسي في إحداث التغيير في الكثير من الأمور المرتبطة بالبنيات الاجتماعية. فالإطار العام على حد تعبير **الكيس دوتوكفيل** يفرض نفسه بقوة من أجل إحداث تغيير في بنيات العالم القروي، صحيح أن الأفراد يعبرون عن بواعثهم وغاياتهم لكن ذلك لا يمكن أن يكون إلا استجابة لذلك الإطار العام الذي تمثله مؤسسات الدولة التي تخضع بدورها للمنظمات الدولية (صندوق النقد الدولي).

6. العرف والتنظيم المجالي

العرف من الأمور الأساسية التي ينبني عليها التنظيم القبلي في قصر تمزموط على وجه الخصوص، كل شيء مرتبط بالعرف، العلاقات الاجتماعية، تنظيم الماء، الأعراس، تنظيم العمل(Lazarev Grigori,2014, p126)، إلى غير ذلك من الأمور الاجتماعية التي يلعب فيها العرف دورا أساسيا، لكن التحولات التي عرفها العالم القروي ودخول المكننة، وظهور العمل المأجور وغيرها من التحولات الاجتماعية التي عرفتها القبائل، غيرت من نمط العيش وأثرت بشكل كبير على البنيات التقليدية التي ينبني عليها العرف، تراجع بعض القيم وبروز قيم أخرى جديدة من السمات الأساسية التي تميز التحول الذي عرفته المنطقة المدروسة، فعندما استفسرنا الكثير من المبحوثين عن " التويزة " كنمط من العمل الجماعي الذي يعزز قيم التضامن والعمل الجماعي، كان جلهم " يتحسر" عن هذه الفترة التي كان فيها العمل الجماعي سائدا، يقول سي العربي 65 سنة (أما اليوم فلم يعد أحد يقبل العمل غير المأجور، ولم يعد أحد قادر على استدعاء أشخاص للعمل لديه دون أن يؤدي لهم ثمن عملهم"، يستطرد محمد جريد 55 سنة " الكل يريد أن يعمل لكن بمقابل معين. السوق ينتظر، الأبناء ينتظرون، الزوجة تنتظر، الكل ينتظر المصاريف" هذه تعبيرات الكثير من المبحوثين." الوقت لم يعد يسعف أحدا في أن يبقى دون أجر يمكنه من ضمان استمراره في الحياة" (ضمن المجموعة البؤرية)، ثم إن دخول التقنيات الجديدة واستعمال الأسمدة التي تزيد من تكاليف العمل الفلاحي كلها عوامل أدت إلى إحداث تغيرات جذرية في العديد من الأمور بما فيها العمل التضامني.

7 أحمد الخلوقي، مدير مدرسة عمومية، وفاعل جمعوي في المنطقة، مشرف على العديد من المشاريع التنموية بشراكة مع منظمات دولية ووطنية.

7. الهجرة عامل للتحول

بالنظر إلى تاريخ الهجرة في قصر تمزموط ، يتضح أنه مسار تراكمي للعديد من التحولات التي عرفتها المنطقة، وفي هذا السياق يجب التميز بين نوعين من الهجرة، الهجرة الداخلية، من البوادي إلى المدن، ثم الهجرة الخارجية من البوادي نحو البلدان الأوروبية، فيما يخص الهجرة الداخلية، يعتبر العامل الديمغرافي في واحات درعة في فترات معينة أساسي لفهم ظاهرة الهجرة، حيث تصل نسبة الخصوبة مثلا إلى 3.3 (مونوفرافية اقليم زاكورة)، فللعائلات في تمزموط استراتيجيات متعددة فيما يخص التدبير الاقتصادي، حيث يتم توزيع الأدوار بين أفراد العائلة بين الفلاحة والشأن المنزلي وغيرها من الأمور الاجتماعية، وفي هذا الإطار تعتبر عملية الدفع بالأبناء للهجرة نحو المدن الكبرى، إستراتيجية أساسية لضمان مورد اقتصادي مستقل عن النشاط الفلاحي، إذن، تأتي مسألة الهجرة كإستراتيجية بالنسبة للعائلات لضمان مورد اقتصادي ثانوي، لذلك تجد لدى كل عائلة فرد أو أكثر من فرد مهاجر في المدن الكبرى، كالرباط الدار البيضاء، مراكش، هذه مسألة أساسية بالنسبة للعائلات داخل الواحات، هذه إلى جانب التمدرس واستكمال الدراسة في الجامعة، لكن بالمقابل في السنوات الأخيرة ولأسباب مرتبطة بالتراجع الكبير في المجال الفلاحي والأنشطة المرتبطة به(Mohamed Benattou, 2014, p52)، ازدادت نسبة الهجرة بين أفراد العائلة الواحدة، حتى أصبحت ظاهرة شاملة لكل أفراد العائلة خاصة الذكور الشباب، في حين أن هجرة الإناث ما زالت ضعيفة بالمقارنة مع الذكور، ويرجع هذا بالأساس إلى الطبيعة الذكورية للمجتمع الواحي، إذن، تجتمع العديد من العوامل لتنتج لنا هجرة قروية قوية، فنقص فرص الشغل، وضعف الإنتاج الفلاحي، ثم ضعف إمكانيات النشاط التجاري، كلها عوامل تشجع هجرة الشباب.

أما فيما يخص الهجرة الخارجية، فيلاحظ أنه في فترات تاريخية معينة قدمت مجموعة ما يعرف ب " موغى "[8] التي قامت بجولة في العديد من مناطق المغرب وواحة تنزولين بشكل خاص، من أجل استقدام اليد العاملة نحو فرنسا، كانت هذه العملية بالنسبة للكثير من شباب هذه المنطقة فرصة من أجل تحسين ظروفهم المعيشية ولعائلاتهم، حيث ساهمت كذلك ظروفهم الاقتصادية الهشة في القصور في الدفع بهم من أجل اتخاذ قرار الهجرة. اليوم وقد مرت سنوات على هذه الهجرة حوالي 20 إلى 30 سنة، نجد أن هؤلاء المهاجرين، على الأقل نسبة كبيرة منهم ، قاموا بالتجمع العائلي regroupement sociale، وهم اليوم يشكلون الجيل الثاني والثالث في فرنسا على وجه التحديد.

8. الهجرة الخارجية والتحولات المجالية

عرف المجال الواحي العديد من التحولات على المستوى المعماري بالخصوص. استقدام الرأسمال المادي أدى بشكل كبير إلى تغيير في الرأسمال الرمزي للواحات، من خلال الملاحظات الميدانية، يتبين بشكل كبير مدى التحول الذي عرفه المجال الواحي، التغير في طرق البناء وغيرها من الوسائل الحديثة التي تستعمل في هذه العملية أثرت بشكل كبير على صورة الواحة. الكثير من المهاجرين على طول خط الواحات الوسطى، قاموا باستعمال الاسمنت في عملية البناء، بل الأبعد من ذلك برزت ثقافة وتصور جديدين فيما يخص عملية البناء حتى بالنسبة للسكان المحليين، حيث يشكل الاسمنت، الوجه الأخر للعديد من البيوت في هذه الواحات.

للتعمق أكثر في الموضوع انتقلنا من مستوى الملاحظة إلى مستوى تمثلات الفاعلين الاجتماعيين، الذي يرون في هذا التحول أمر غير طبيعي بالنظر إلى نتائجه السلبية على صورة

[8]تعتبر مجوعة موغى، مجموعة فرنسية جاءت إلى المغرب في الثمانينات، كان هدفها استقدام المهاجرين من المغرب إلى فرنسا، وكان لواحات درعة نصيبها من هذه الهجرة كما يقر بذلك السكان المحليين

الواحات وجماليتها، ويرجع السبب بالنسبة للعديد من المستجوبين، في التأثير الذي حصل في نمط العيش في العديد من القصور خاصة قصر تمزموط الذي لزم بالضرورة هذا التغيير، لقد ساهمت الهجرة التي عرفتها هذه القصور بشكل كبير، حيث أن تأثر سكان الواحة بشكل عام، بنمط عيش المدينة ووسائل عيشهم أدى بشكل كبير إلى تبنيهم تصورات جديدة للمجال الذي يعيشون فيه، استعمال الطين مثلا في عملية البناء التي ميزت الواحات مند قرون مرتبط بالعديد من الأمور المعيشية الأساسية لسكان الواحات، فاستعمال الخشب والوسائل التقليدية في الطهي والطبخ في هذه الواحات والتي كانت منسجمة مع شكل البناء لم يعد قائما اليوم مع ظهور وسائل جديدة، استعمال قنينات الغاز والوسائل الحديثة غير بشكل كبير تصور شكل المطبخ والوسائل الممكن استعمالها، لكن بالمقابل وعلى الرغم من كل هذه التغيرات التي عرفها المجال الواحي مازال العديد منهم يحافظون على الوسائل التقليدية في البناء، كشكل من أشكال المقاومة للتأثير الذي أحدثه نمط المدينة على البوادي المغربية.

9. المسألة اللغوية وحدود التغيير

تعتبر المسألة اللغوية في قصر تمزموط، عامل أساسي في فهم التحولات السوسيو- اجتماعية في هذه القبيلة، من المؤكد أن التحولات التي مست البنيات الاجتماعية لقصر تمزموط شملت أيضا الحقل اللغوي باعتباره حقلا منسجما مع باقي الحقول الاجتماعية الأخرى، إن فهم الهوية الاجتماعية (Hassan Rachik, 2006, p14-66) لمعظم الواحيون مقرون بالدرجة الأولى باللغة المحلية بل الأكثر من ذلك باللكنات أو اللهجات المحلية، ويعتبر المجال الواحي بشكل عام فضاء للعديد من اللغات واللكنات المحلية التي تختلف باختلاف الاثنيات المتواجدة بهذه القصور، فإلى جانب اللغة الأمازيغية والعربية، توجد مجموعة من اللكنات المحلية، " تشلحيت" "تمزيغت"، ثم الحسانية في واحات لمحاميد الغزلان، وتعتبر اللغة العربية – الأمازيغة، نوعا خاصا مميزا للعديد من القصور، حيث تمتزج اللغة العربية الأمازيغية والأمازيغية بالعربية، ويرجع دلك تاريخا إلى التلاقح الذي عرفته بعض القبائل الأمازيغية والقبائل العربية.

قدوم العديد من القبائل خلال فترات تاريخية معينة كقبائل أيت عطا، وقبائل أيت سدرات إلى جانب بعض القبائل العربية التي قدمت من الصحراء، أسهم بشكل جلي في بناء الفضاء اللغوي في قصور تنزولين بشكل عام، حيث تشكل اللغة مجالا للتعبير الهوياتي للعديد من المجموعات والفرق المكونة لقصر تمزموط(Lewis Bradford, 2012, p130)، داخل كل مجال واحي توجد تعبيرا ت ولكنات مختلفة. ففي قصر تمزموط مثلا، وعلى الرغم من أن غالبية الساكنة تتحدث باللغة الأمازيغية، وبالخصوص " تشلحيت" إلا أن هناك (Abdallah Elmountassir, 1999, p14) بالمقابل تواجد لمجموعة من العائلات تتحدث لكنة مختلفة، يعتبرون لغتهم بـ" تمازيغت" وأكيد أن هدا الاختلاف سينعكس بشكل أو أخر على الهوية الجماعية للفرق المكونة لقصر تمزموط.

بالإضافة إلى كل هذا، يمكننا القول أن السوق اللغوية بالواحة المشمولة بالدراسة مسألة أساسية لفهم التحولات الاجتماعية وكذلك الهوية الاجتماعية. يعتبر العديد من الواحيون أن اللغة والثقافة الأمازيغية جزء أساسي من هويتهم إلى جانب الثقافة العربية والإسلامية، بل يسهر الواحيون في الحفاظ على هويتهم الأمازيغية من خلال تواصلهم الدائم باللغة الأمازيغية وتعبيراتها المختلفة، في ضوء الصراع القائم بين الأجيال حول المسألة اللغوية، لاسيما وأن هجرات الشباب الى المدن الكبرى، وتواصلهم الدائم باللغة العربية – أحدث تغييرا على مستوى العديد من التعبيرات اللغوية، لذلك يحاولون التواصل باللغة الأمازيغية للحفاظ على لغتهم التي يعتبرونها هويتهم الجماعية، لا يخفي الواحيون وبالخصوص في " قصر تمزموط " تخوفهم من استيعاب اللغة الأمازيغية من طرف اللغة العربية، على اعتبار التحولات السوسيو – لغوية التي عرفتها

المنطقة، فالعديد من شباب المنطقة يتواصلون في أحايين عدة باللغة العربية مما يشكل تغيرا في النمط التواصلي السائد لدى الجيل الأول (Dubar, Claude, 1996, p120).

ازدواجية اللهجات المحلية التي تميز قصر تمزموط، واختلافها على مستوى التموضعات الاجتماعية يشكل إطارا أساسيا لفهم الظاهرة اللغوية بارتباطها بالمتغيرات الاجتماعية، يشكل التواصل بين هذه المجموعات شكل أساسي للتعايش السلمي، على اعتبار أن اختلاف اللهجتين لا يشكل عائقا في التواصل بين المجموعات، غير أنه يشكل عاملا للتمييز في بعض الأحيان، والدليل على ذلك هو استمرار اللهجتين في التواجد رغم اختلافهما من حيث العدد حيث نجد أن مجموعة " دراوة " مثلا أكثر عددا مقارنة مع مجموعة " إيمازغن "الدين يمثلون أقلية حوالي خمس عائلات، لكن مع ذلك احتفظوا بلهجتهم وهويتهم، فعندما تحتفل المجموعة الثانية مثلا بمناسبات معينة مثل الزواج، نجد أن هناك تباين واختلاف من حيث تقاليد كل مجموعة، مما يبين كذلك الاختلاف اللغوي خاصة عندما يتعلق الأمر بالأغاني والأشعار، حيث تصل في بعض الأحيان إلى مستوى لا فهم المجموعات الأخرى، حيث الإنتاج اللغوي هنا يختلف ويتباين كما قلنا سابقا باختلاف السياق، إذن، تثير اللغة، أو بالأحرى اللهجة التي تتحدث بها المجموعة مكون أساسي للهوية الفردية والجماعية، كما تشكل عاملا أساسيا للانصهار والتلاحم بين المجموعة الواحدة، حيث تشكل الإطار الموحد لها والذي يمثل هوية المجموعة، ثقافيا وعرقيا وكذلك دينيا.

ترتبط المجموعات في قصر تمزموط بشكل خاص بلهجتها المحلية، حيث تتخذ مكانة أساسية لدى هذه المجموعات، إذ تسهر على التواصل الدائم بلهجتها، بل تحسس من يخرج عن هذا السياق بالغريب أو المتكبر الذي خرج عن المجموعة أو غير ذلك من النعوت التي: أن ذلت على شيء فإنما تذل على حرص هذه المجموعات في الحفاظ على هويتها الجماعية.

تشكل اللغة العربية بالنسبة لهذه المجموعات وسيلة تواصل بين الغرباء الذين لا يتحدثون اللغة الأمازيغية، (Lewis Bradford, 2012, p21)، وأنه لمن المفارقة أن نجد أنه على الرغم من اعتبار هذه المجموعات أن هويتها عربية إسلامية أمازيغة، إلا أنهم لا يخفون حرصهم الحفاظ على اللغة الأمازيغية، التي يعتبرونها الأم، والتواصل بين أبناء نفس المجموعة لا يتم في غالبية الأحيان إلا باللغة الأمازيغية، وبالأحرى اللهجة المحلية، بل هناك بعض الأشخاص خاصة من النساء والمسنين الذي لا يجيدون التحدث باللغة العربية، على الرغم من حفظهم لبعض الآيات من القرءان.

10. العائلة في قبيلة قصر تمزموط

تعتبر العائلة في المجتمع الواحي بشكل عام وقبيلة قصر تمزموط بشكل خاص، وحدة أساسية للإنتاج والتنظيم الاجتماعي، أنها بالفعل وحدة متكاملة الأركان، فلكل فرد داخل العائلة دور أساسي يجب أن يقوم به على الشكل المطلوب اجتماعيا. فالأدوار المرتبط بالمنزل (takat) منوطة بالضرورة للنساء، سواء منهن المتقدمات في السن أو غيرهن، ويتم ذلك بشكل منظم، حيث تقوم النساء المتقدمات في السن في تحديد دور كل امرأة في البيت على حدا، إذ غالبا ما تكون زوجات الأبناء من يتكفلن بهذه العملية.

أما فيما يخص الأعمال خارج المنزل فيشترك فيها كل من المرأة والرجل على حد سواء. فالرجال يقومون بالأعمال الفلاحية والزراعة والأعمال الأخرى المرتبطة بالبناء والتسويق. في حين تقوم النساء بجمع المحصول من الأعشاب يوميا لتوفير الغذاء اليومي للماشية. تلعب العائلة العديد من الأدوار فهي التي تنقل القيم الجماعية للأفراد (محمد مهدان، 1900، ص41) من خلال آليات التنشئة الاجتماعية، كما تجسد الجماعة وتعتبر مرآة له في نفس الوقت (Sophia Mappa, 1998, p17)، تنتج هذه المؤسسة الكثير من القيم التي تعتبر الأساس التي تنظم من خلالها الجماعة، قد تختلف هذه القيم مع القيم التي تنتجها الدولة بمؤسساتها العصرية في كثير من

المجالات، فإذا كانت الأسرة في المجتمعات التقليدية تحتكم إلى العرف والجماعة والأعيان، فإن القوانين المكتوبة وبقوة العرف، تفسح المجال لهذه المكونات التقليدية لتلعب دورها في مثل هذه الحالات، على سبيل المثال تزويج البنات حتى قبل بلوغها سن الزواج حيث يتم الاتفاق بين العائلات فحسب، دون الرجوع إلى قوانين مدونة الأسرة.

القوانين الوضعية هي من نتاج الدولة الحديثة، ولم تكن من نتاج هذه المؤسسات التقليدية كالأسرة أو الجماعة، الكثير من هذه القوانين لا تتجاوز الرفوف أمام مقاومة ورفض هذه المؤسسات التي تألوا إلى إعادة إنتاج القوانين العرفية من ذاتها ولذاتها، النظام الأبوي الذي ترتكز عليه هذه المؤسسات التقليدية يحاول جاهدا أن يحافظ على نفسه أمام كل الظروف، بالنظر إلى وضعية المرأة في تمزموط، نستشف مدى بعد القوانين الوضعية عن الواقع المعيش للمرأة في القصر، صحيح أن هناك قوانين تحمي وتصون كرامة النساء وحريتهن لكن، أمام هذه الذهنيات والأعراف تصبح هذه القوانين موقوفة التنفيذ.

خاتمة:

لقد تأكد لنا من خلال البحث الميداني كذلك، مدى التغيرات الاجتماعية التي عرفتها واحة تنزولين بشكل عام وقصر تمزموط بشكل خاص، حيث مست كل جوانب الحياة الاجتماعية، فعلى مستوى الاجتماعي خلصنا إلى نتيجة أساسية مفادها، أن التنظيم الاجتماعي التقليدي مازال محافظا على نفسه، من خلال التنظيم المحلي الذي تلعب فيه القبيلة والأعيان دورا أساسيا في اتخاذ القرارات، أما فيما يخص العائلة في القصر فيمكن القول أن التغيرات التي عرفتها خاصة بعلاقتها بالأرض، أثرت بشكل كبير على بنية العائلة وبروز الفرد داخلها، هذا بدوره أدى إلى بروز الأسرة النووية في العديد من العائلات، وهذا من طبيعة الحال سينعكس على وضعية المرأة التي برزت هي كذلك كفاعل أساسي من خلال العمل الذي تقوم به خاصة (العمل المرئي) بمعنى العمل المؤدى عنه، ثم خروجها إلى الفضاء العام من خلال انخراطها في بعض برامج التنمية التي تقوم بها بعض الجمعيات المحلية.

خلصنا كذلك إلى العديد من النتائج، أهمها مرتبطة بالتنظيم القبلي والاجتماعي الذي يميز قصر تمزموط، فعلى الرغم من التحولات التي عرفها هذا القصر، ما زال دور القبيلة حاضرا في التنظيم الاجتماعي للماء، ومازالت الأعراف الاجتماعية المتوارثة عبر الأجيال تلعب دورا أساسيا في التنظيم الاجتماعي، صحيح أن دور القبيلة تراجع بشكل كبير أمام بعض المؤسسات الاجتماعية التي برزت في القصر، كجماعة الدوار مثلا التي عوضت بشكل كبير القبيلة في العديد من المجالات، لكن ذلك يختلف من مجال واحي لآخر.

قائمة المراجع:

1. البوزيدي أحمد (1994)،" التاريخ الاجتماعي لدرعة من مطلع ق 17 إلى مطلع ق 20 م" - دراسة في الحياة السياسية والاقتصادية –بدايات أفاق متوسطية مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء.
2. مهدان محمد(2012)، الماء والتنظيم الاجتماعي دراسة سوسيولوجية لأشكال التدبير الاجتماعي للسقي بواحة تودغى، جامعة ابن زهر، أغادير.
3. الطابع مبارك (2007)البنيات، الزراعية والاجتماعية وأفق الاستمرار والانقطاع في الواحات المغربية واحة تافيلالت نموذجا، بحث لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس – الرباط.
4. Aït hamza Mohamed, EL FASKAOUI Brahim, (2013). Les oasis du Drâa au Maroc, Hommes et migrations [En ligne],1284 | 2010, mis en ligne le 29 mai.
5. Amahan Ali, (1998). Mutations sociales dans le Haut Atlas, les Ghoujdama, édition de la Maison des sciences de l'Homme, Paris.
6. Aron Raymond (1994). Les étapes de la pensée sociologique, Gallimard, Paris.

7. Boukous Ahmed, (1977). Langage et culture populaires au Maroc, publication de l'AMREC, Maroc.
8. Bradford, Lewis (2012). Das Any one here speak tashelhait. Perspectives on environment, identity and social change in south Morocco". College of Liberal Arts & Social Sciences Theses and Dissertations, Chicago.
9. Chatty Dawn, (2006). Nomadic Societies In The Middle East And North Africa, Entering the 21st Century Netherlands. Brill, Boston.
10.Dubar Claude, (1996). La socialisation : construction des identités sociales et professionnelles, Armand Colin, Paris.
11.EL Mansour Mohamed, (1984). Dads, de l'organisation sociale traditionnelle a la domination coloniale XIX éme – Xxéme siecles , Institu Royale de la culture Amazighe, Rabat.
12.Farge Arlette (2013). La domination masculine, dans l'insoumission en héritage, Pierre Bourdieu, (sous la direction d'Edouard Louis), presse universitaire de France, Paris.
13.Forse Michel, (2000). Les théories de changement social, dans, La sociologie, Histoire et idées, coordonné par Philippe Cabin et Hean-françois dortier, Edition sciences Humains. Paris.
14.Guy, Rocher(2012). Introduction à la sociologie générale, l'action sociale, Bibliothèque québécoise, Canada
15.Hart David. M, (2000). Tribe and Society in Rural Morocco first published. Routledge, Royaume-Uni.
16.Lipton Michael, (2005). The Family Farm in a Globalizing World: The Role of Crop Science in Alleviating Poverty. Vision Discussion Paper No. 20, International Food Policy Research Institute, Washington.
17.Mappa Sophia, (1998). Pouvoir et traditionnels et pouvoir d'état en Afrique. Edition Karthala, Paris.
18.Milewski, Françoise & Hélène Perivier, (2011). Les discriminations entre les femmes et les hommes. Presses de sciences politiques, Paris
19.Naamane Guessous, Soumaya (2016). Les femmes dans le Maroc d'hier et d'aujourd'hui. Marsam, Maroc.
20.Remond Aron, (1967). Les étapes de la pensée sociologique. Edition Gallimard. Paris.
21.Savarese Eric, (2006). Méthodes des Sciences sociales, édition Ellipses, Paris
22.Spillmann Georges, (1936). Les ait Atta du Sahara et la pacification du Haut dar. Edition Felix Moncho,Tome 29, Rabat.
23.Valensi Lucette, (1986). Le Maghreb avant la prise d'Alger : question d'histoire, Ed. Flammarion, Paris.